المقدمة

إعجاب الملك عبد العزيز بجده الإمام فيصل بن تركي

كان الملك عبد العزيز شديد الإعجاب والاعتزاز بجده الإمام فيصل بن تركي، وكان ينتخي في المعارك بهذا الهتاف المدوِّي:

- أنا ابن فيصل -

فمتى بدأ هذا الإعجاب؟

كان ذلك خلال إقامة الفتى عبد العزيز في الكويت، التي عاش فيها مدة من الزمان، لاجئاً مع أبيه الإمام عبد الرحمن بن فيصل . . .

كان أهل الكويت يتتبعون بشغف وشوق وإعجاب شديد مواقف الإمام فيصل البطولية الخارقة، وكانت سيرته عندهم المادة المفضَّلة في أحاديث المجالس والسمر، بل حلَّت محل سيرة عنترة، وصار لها (قاصٌ) ينشدها لهم نشيداً أخَّاذاً، مصحوباً بنغمات الناي الملهمة، فتمتلىء نفوس السامعين بالحماسة والزهو، ويطيرون على أجنحة الخيال إلى قمم السعادة والعزة والعظمة! .

هكذا كانت سيرة الإمام فيصل تفعل بنفوس الجماهير.

أما أثرها في نفس الفتى العبقري عبد العزيز، فكان أعظم كثيراً، لأنه كان يتلهف لاستعادة ملك آبائه المفقود، وكان فيصل هو القدوة والحافز والمثل الأعلى.

الأعداء قاتلوا الفيصل مراراً، ونفوه وحبسوه تكراراً، ولكنه لم يقنط . . ولم يتخاذل، واستطاع أن يحرر بلاده من القوى الأجنبية الهائلة التي كانت جاثمة على صدرها.

كانت لدى المستعمرين الأجانب جيوش كثيرة جرَّارة، وكانت كلما تناقص عددها جاءها مدد سريع، وكان عندها مال وفير يبذل بسخاء مريب في شراء الضمائر واستمالة بعض العشائر . .

لم يرهب الإمام فيصل كل ذلك، ولم يقنط من رحمة الله، وأقدم.. وقاتل وانتصر!.

كانت سيرة فيصل حافزاً ودعوة ملحّة للفتى عبد العزيز أن يجمع حوله عصبة من الشجعان الأوفياء، من الأقرباء والأعوان، ويفجأ بها الرياض أولاً، ويحررها بمغامرة جريئة، كما فعل جده، ثم يمضي في تحرير سائر البلدان.

فعل عبد العزيز ذلك، ولكنه لم يقف عند تحرير بلدان نجد..

واستطاع، بتوفيق الله، أن يجمع تحت راية التوحيد ثمانية أعشار الجزيرة العربية أو أكثر، وهو ما لم يستطع تحقيقه أحد قبله، من أئمة آل سعود.

وبعد...

فإن سير الإمام فيصل، التي أُعجب بها الملك عبد العزيز وألهمته ونَوَّرته في فتوحاته الخارقة وسياساته العبقرية جديرة بأن تُروى للناس في كتاب على مستواها..

وقد انتدب المؤلفُ نفسه لهذا الأمر الجليل والعبء الثقيل، فطالع الكثير الكثير من الكتب والوثائق والمجلات والصحف والبحوث، في مكتبات عامة وخاصة، في الشرق والغرب، وضَمَّن كتابه شيئاً غير قليل مما استجاده من الوثائق والكتب النادرة والمخطوطة والأخبار المنشورة في ثنايا الصحف والمجلات والنشرات.

ومن أعجب الأمور أن الغربيين عنوا بالكتابة عن الإمام فيصل عناية كبيرة، ولم يكتفوا بروايات ابن بشر وعقد الدرر وغيرهما من المصادر النجدية المعروفة، مع أنها المنهل الذي ارتوى منه كل الذين كتبوا عن الإمام فيصل، ونحمد الله أن مؤلفين سعوديين ألّفوا في هذه السنوات كتباً جيدة في التاريخ السعودي فاقت ما كتبه الأجانب بلغاتهم.

ولكن أحداً منهم، فيما أعلم، لم يفرد كتاباً للإمام فيصل.

وإني لأرجو أن يكون كتابي عن الإمام، بما جمعته له خلال سنوات طويلة، أفضل كتاب ظهر حتى اليوم، في الشرق والغرب، عن سيرة الإمام فيصل، وخصوصاً ما يتصل بسياساته الخارجية واتصالاته بممثلي الدول الأجنبية وزياراتهم له في قصره، وهو ما تغفله المراجع النجدية والعربية أو تجهله، مع أنه ضرورة ملحة لفهم شخصية الإمام فيصل فهماً شاملاً.

أسأل الله سبحانه أن يكون كتابي هذا عملاً خالصاً لوجهه، وحلقة مضيئة في سلسلتنا التاريخية.

والحق إنني أعتز وأفخر بهذا الكتاب، لما تفرَّد به من أخبار فيصل.